

(فصل في إثبات صفة الكلام)

ص (ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم، يسمعه منه من شاء من خلقه. سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وبين أن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزيرونه، قال الله تعالى { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } [النساء]- وقال سبحانه: { يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي } [الأعراف]- وقال سبحانه: { مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ } [البقرة]- وقال سبحانه: { وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلَّمَ اللَّهَ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ } [الشورى]. س 32 (أ) ما تقول في صفة الكلام لله. (ب) وما معنى كون كلامه قديماً. (ج) وكيف كلم الله موسى. (د) وما الدليل على أنه يكلم الناس في الآخرة (هـ) وماذا يؤخذ من قوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلَّمَ اللَّهَ إِلَّا وَحْيًا } ؟ ج 32 (أ) مسألة إنكار الكلام من أقدم ما أحدثه المبتدعة، وقد بالغ السلف في إثبات صفة الكلام لله وبينوا بطلان أقوال النفاة من الجهمية ونحوهم، وأثبتوا أن الله تعالى متكلم ويتكلم إذا شاء بكلام يسمعه منه من شاء، وبينوا أن صفة الكلام صفة مدح، وأن سلبها نقص وعيب وهو الخرس، وقد غاب الله عجل بني إسرائيل بقوله { أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ } [الأعراف]. (ب) وعند أهل السنة أن كلام الله قديم النوع، متجدد الآحاد، ومعنى كونه قديم النوع أن جنسه قديم، فالله تعالى متصف في الأزل بكونه متكلماً، فإن الله بجميع صفاته ليس بحادث، ولكنه لا يزال يتجدد ويحدث له كلام إذا شاء، وصفة الكلام من الصفات الفعلية الملازمة للذات متى شاء. (ج) وقد ذكر الله أنه كلم موسى تكليماً، ولهذا يسمى موسى كليم الرحمن، ولا يشك أهل السنة أن موسى عليه السلام سمع كلام الله حقيقة، لا بواسطة ملك، ولا مترجم، بل منه إليه، لأن الله قال له { إِنِّي آتَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا } - [طه]- ولا يصح أن يقول هذا مخلوق، فتحقق أنه عين كلام الله الذي سمعه موسى وقال تعالى { إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي } أي اخترتك وخصصتك بإرسالتي لك إلى فرعون وإلى قومك من بني إسرائيل، وتكليمي لك كلاماً مني إليك، ثم إن قوله: { مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ } يرد به موسى وقد حاول بعض الجهمية من بعض القراء أن يقرأها بنصب الجلالة، حتى يكون موسى هو الفاعل لينفي عن الله أنه هو المتكلم، ولكن أورد عليه قوله تعالى { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ } - [الأعراف] فهي صريحة في أن الرب هو الفاعل. وقد تكلف الجهمية وغيرهم من نفاة الكلام تأويل هذه الآيات، حتى فسر بعضهم قوله تعالى { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } بقوله: المراد جرحه بأطافير الحكمة. لأن الكلم الجرح في اللغة. وهذا تحريف للكلم عن مواضعه، يردده توارد المعنى بألفاظ كثيرة يفهم منها صريح الكلام. ويرده قوله تعالى { بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي } ولم يقل (بكلمي) بإسكان اللام حتى يفسر بالجرح، ويرده آيات النداء كما يأتي بعضها قريباً إن شاء الله وكذا آيات القول والحديث ونحوها- والله تعالى يكلم من أراد من خلقه، فيكلم جبريل من وحيه بما أراد، وكلم محمداً صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، كما يأتي في الأحاديث. (د) وأما تكليمه للناس في الآخرة فدليله قوله عليه الصلاة والسلام { ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان } وكذا الأحاديث الكثيرة في نعيم أهل الجنة، وأن منه زيارتهم لربهم، وكلامه لهم، وسؤالهم منه الرضا... إلخ، وهي أحاديث متداولة بين الأمة، مروية في أمهات الكتب، وفيها التصريح بأنهم يسمعون كلام الله حقيقة كما شاء. (هـ) أما قوله { وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلَّمَ اللَّهَ إِلَّا وَحْيًا } ففيها أنه تعالى لا يكلم في الدنيا أحداً من البشر مقابلة، ولا يتمكن أحد منهم من رؤيته، لاتصافه تعالى بالعلو، والكبرياء والعظمة، ولضعف تركيب البشر عن الاستقرار والثبوت لذلك ثم أخبر أنه ينزل الوحي والشرع على من اختاره لذلك، بواسطة الملك، أو يلهمه ويلقيه في روعه، وقد يكلم البعض من وراء حجاب كما كلم موسى، وقد يرسل رسولا من الملائكة فيكلم الرسول البشري بما أرسله الله به.